

المحتوى التعبيري للمنتج الإبداعي المعبر عن الحروب في التصوير المعاصر



مقالة بحثية

* هاجر السيد محي الدين حسن

* الدارسة بمرحلة الماجستير، قسم الرسم والتصوير، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان.

البريد الإلكتروني: mohyhagar@gmail.com

تاريخ المقال:

- تاريخ تسليم البحث الكامل للمجلة: 05 إبريل 2021
- تاريخ تسليم النسخة المنقحة: 17 يونيو 2021
- تاريخ موافقة هيئة التحرير على النشر: 01 يوليو 2021

الملخص:

لقد اتخذت الحروب شكلاً مغايراً في القرن الحادي والعشرين؛ حيث إنها أصبحت لا تعتمد على الأسلحة والجيوش أو النزاع بين دولتين، بل اعتمدت على الحروب العرقية والأهلية داخل الدولة الواحدة، وساد اعتقاد بأن إنسانية القرن الحادي والعشرين سوف تقود مجتمع العولمة بعد الحرب الباردة نحو سلام ورخاء جماعي، ورغم أن بدايات القرن الحادي والعشرين شهدت انخفاً كبيراً في معدلات القتلى في ساحات المعارك مقارنة بتلك الفترة من القرن السابق، إلا أنه شهد حتى الآن حروباً ونزاعات قتل فيها مئات الآلاف من الناس، كل هذا من شأنه أن يؤثر على إنتاج الفنان العربي؛ خاصة لما يدور حوله من دمار ونشأت وتعددية ثقافية ودينية؛ فهناك أعمال كثيرة تتضمن أحداثاً سياسية، وتسجل أحداث العنف والإجرام التي ارتكبت في حق الشعوب والإنسانية؛ مثل مذبحته كوريا لبابلو بيكاسو والجورنيكا، والتي تعتبر الأكثر شهرة في الأعمال التي عبرت عن الحرب. فالحروب بأزماتها وآثارها تشكل أحد مصادر التعبير الفني؛ فالبرغم من أنها شيء مدمر قادر على إنهاء شعوب ودول وبناء أخرى، إلا أنها أحياناً ما يحدث بعدها تغييرات جذرية في الثقافة والفن؛ فتظهر لنا مدارس جديدة في مجالات الفن المختلفة، تنمي الفكر والإبداع، ففي ظل الأحداث الجارية على الساحة العربية من حروب وإرهاب، تتأني أهمية دراسة موضوع الحروب في كونه يرصد تلك الأحداث، كما يهدف إلى التوعية من آثار تلك الحروب التي تستهدف تدمير العقول؛ وتقسيم الشعوب العربية إلى فئات متضاربة؛ والسعى لحدوث حروب أهلية داخل الدولة الواحدة، وهدم المبادئ الدينية؛ والوحدة الوطنية، وتدمير حضارة الشعوب العربية في آسيا وشمال إفريقيا.

الكلمات المفتاحية: المحتوى التعبيري؛ المنتج الإبداعي؛ الحروب؛ التصوير المعاصر

مقدمة:

في العهود القديمة - ومع النزاع الدائم على الحياة - بدأت الحروب منذ بداية الخليقة، مع نزاع قابيل وهابيل - أبناء سيدنا آدم - الذى انتهى بقتل قابيل لأخيه هابيل، وتوالت بعد ذلك النزاعات والحروب بين القبائل، فقد كان الإنسان البدائي يقوم بتسجيل حياته ومعاركه باستخدام فن الرسم أو النقش على الحجارة، كطريقة لتسجيل حياته وانتصاراته، فارتبط الفن وطريقة التعبير عن الحياة الإنسانية بالحرب والمعارك كطريقة لتسجيل الانتصارات والتباهى بالقوة والسيطرة التى صنعت أقدم وأعظم حضارة شهدتها التاريخ، فظهرت من خلالها قوة وعظمة الإنسان المصرى القديم فى هزيمة أعدائه وتطور حكمه وسطوته على البلاد.



شكل (1) مشهد معركة أحمس ضد الهكسوس.

وتوالت الأحداث والصراعات الإنسانية، وتطورت الأسلحة والجيوش؛ ولحفاظ كل دولة على أراضيها عززت نفسها بأساليب قتالية متطورة، وأسلحة حديثة، ولكن دائماً ما كانت الدول تسعى للتوسع الجغرافى والبحث عن ثورات طبيعية أكثر، فاستمرت الغزوات والحروب حتى الحرب العالمية الأولى (1914-1918) أو ما تسمى بالحرب العظمى بين التحالف الثلاثى (ألمانيا والنمسا والمجر وإيطاليا)، والانتصار الثلاثى (فرنسا وروسيا وبريطانيا العظمى)، والتي أدت إلى الكثير من الدمار والضحايا، ثم أتت الحرب العالمية الثانية؛ التي بدأت في عام 1939 وانتهت في عام 1945، وكانت الأكثر دموية وتدميراً في التاريخ، وتوالت الحروب بعد ذلك حتى الآن، والعالم في صراع دائم لا ينتهى.

مشكلة البحث: تتحدد مشكلة البحث في التساؤل الآتي:

هل يمكن إثراء المحتوى التعبيري لفن التصوير المعاصر من خلال الدراسة التحليلية لمختارات من الأعمال الفنية المعبرة عن الحروب؟

فروض البحث: يفترض الباحث أنه يمكن إثراء المحتوى التعبيري لفن التصوير المعاصر من خلال الدراسة التحليلية لمختارات من الأعمال الفنية المعبرة عن الحروب.

أهداف البحث:

1-الكشف عن الأعمال الفنية التي تناولت الحروب وآثارها.

2-استخلاص القيم الفنية والفلسفية التي تتسم بها تلك الأعمال والإفادة منها في إثراء التعبير الفني في التصوير.

أهمية البحث:

- 1-إلقاء الضوء على آثار الحروب وانعكاسها على فن التصوير.
- 2-إيضاح دور الحرب كأثر مجتمعى على أعمال الفنانين والفن المعاصر.
- 3-دراسة تحليلية لمختارات من الأعمال الفنية التى عبرت عن الحروب وآثارها.
- 4-إثراء المكتبة العربية ومكتبات كليات الفنون بما يتعلق بالتعبير عن الحروب وآثارها فى مجال التصوير.

مصطلحات البحث:

الحرب: هو مصطلح يستخدم لوصف حالة الصراع والتوتر والتنافس والنزاعات التى تقوم بين فئتين أو أكثر، على فكرة معينة، أو سعياً للحصول على السلطة، أو لاحتلال دول أخرى، وإعادة بناء العالم، وتلجأ الأمم إلى الحرب بعد أن تعجز عن تحقيق أغراضها وفرض سياستها بوسائل أخرى، وعندما لا تفيد الوسائل الدبلوماسية والاقتصادية للضغط؛ تكون الحرب لابد منها، فالحرب ديمومية الوجود.. وللحروب تجلياتها الجمالية التي تتبدى دوماً، ومهمة الفنان أن يظهر تلك التجليات فى أعمال خالدة تدخل التاريخ وتتحد به.. فالحرب هى التي تعطى المعنى الحقيقي للتاريخ، وهي "القتال المسلح الذي ينشب بين طرفين أو أكثر لتحقيق هدف سياسي أو عسكري، وتخوضها الجيوش النظامية لحل النزاع القائم بينهما، وبعد إخفاق جميع الطرق الدبلوماسية لإيجاد تسوية سياسية".

الفن الحديث وأهم الأعمال الفنية التى عبرت عن الحرب:

بعد ضرب هيروشيما ونجازاكي أشهر هجوم نووي في تاريخ البشرية، والذي قامت به الولايات المتحدة الأمريكية ضد إمبراطورية اليابان في أواخر أيام الحرب العالمية الثانية، والذي خلف ضحايا وخسائر كبيرة، نتج عن ذلك العديد من الأعمال الفنية التى تترجم آلام المجتمع آن ذاك، من أهم هؤلاء الفنانين الفنان (بيكاسو)، حيث رسم لوحة (مذبحة بكوريا 1915) التي ينظر إليها على أنها انتقاد للتدخل الأمريكي في الحرب الكورية، وهو يصور مذبحة السنشون في عام 1950.

ذلك محاولات أن يعالج الفن الابتذالات اليومية، فمعد الانطباعية لم يتوقف الرسم عن تقديم توصيفات (غير جميلة) للواقع، في الرسم والنحت، حيث استخدم الفن فيما بعد الحربين العالميتين كفعل ثوريّ وتمرداً على معايير الجمال التقليدية، "تقدمت الفنون في ذلك الوقت وأصبح الفن وسيلة للتعبير عن الحياة الجارية، فالفن لا يخضع لقانون واحد إنما يخضع لظروف اجتماعية متعددة تجعله يتلون بشكل معين حسب الأشكال الاجتماعية، بدأت تلك التغييرات بظهور الدادائية عام 1916، ثم نشأت السريالية عام 1924، وأصبحت ظاهرة عالمية وذلك في أربعينيات القرن العشرين"، وظهر العديد من المدارس الفنية الأخرى، واستخدم الفن السياسي للتعبير عن متغيرات المجتمع، واعتبر تمثيل الجمال في ذلك الفترة ما هو إلا خداع وتمثيل لشيء غير موجود في الواقع؛ أدى ذلك إلى اختيار عناصر جاهزة باعتبارها أغراضاً فنية، بداية من عام 1913، ومن أشهرها (المبولة) وأطلق عليها اسم النافورة لمعرض جمعية الفنانين المستقلين بنيويورك في أبريل 1917، تم رفض هذا العمل من قبل لجنة اختيار اللوحات الفنية، ولكن ذلك لم يقلل من شهرة العمل، وتحولت نافورة دو شامب، من فن الصور الإنسانية إلى اللوحة التعبيرية.



شكل (5) مارسيل دو شامب:

النافورة، أحد أشهر أعمال الحركة الدادائية، 1917

التغييرات الفنية في نهاية القرن العشرين

استمر فن البوب حتى ستينيات القرن العشرين، وفي السبعينيات ظهرت اتجاهات فنية جديدة مثل (الفن المفاهيمي conceptual Art- والفن البيئي Environment Art- وفن الأداء performens Art). والتي أثرت بشكل كبير في الحركة الفنية؛ لاعتمادها على الفكرة أكثر من العمل الفني ذاته، وأدت الأحداث السياسية التي مر بها العالم في فترة السبعينيات والثمانينيات إلى تغيير عالم الفن بشكل كبير؛ كانت حرب فيتنام ودخول الولايات المتحدة الأمريكية طرفاً في الحرب سبباً في زيادة عدد الضحايا ومقتل الآلاف من مواطني فيتنام، وقيام حركات ثورية ضد السياسة الأمريكية؛ رفضاً لأحداث فيتنام، ومع انتصار الرأسمالية، سرعان ما أعاد عالم



شكل (2)

بابلو بيكاسو، مذبحه في كوريا، 1951.

وهي عملية قتل جماعية نفذها الكوريون الشماليون والجنوبيون والقوات الأمريكية في بلدة سنشون الواقعة في مقاطعة هوانغهاي الجنوبية، بكوريا الشمالية. أيضاً لا يمكننا أن نغفل عن أعظم عمل تاريخي حربي قدمه بيكاسو؛ حيث صورت لوحته الخالدة (الجورنيكا 1937) التي عبر فيها عن سخطه وحذره فيها من مثل هذا المصير الرهيب الذي آلت إليه مدينة إسبانية صغيرة أغارت عليها القاذفات النارية بأمر الجنرال (فرانسيسكو فرانكو Francisco Franco) ليسقط الآلاف من المدنيين الأبرياء، شكل (3)



شكل (3)

بابلو بيكاسو، الجورنيكا 1937.

بالغاز (Gassed) شكل (4) واحدة من أقوى الأعمال الفنية التي تصور فظائع الحرب العالمية الأولى، تعرض اللوحة للفنان الشهير جون سينغر سارجنت John Singer Sergeant التي يبلغ طولها 21 قدماً جنوداً بريطانيين مصابين بالعمى خلال هجوم بغاز الخردل، يقود أحدهما الآخر من ساحة المعركة إلى مستشفى ميداني.



شكل (4)

جون سينغر سارجنت، بالغاز 1919.

تطور الاتجاهات الفنية الحديثة والمعاصرة وعلاقتها بالحروب:

كان إعلان العنف واستخدامه في الفن الحديث محاولة للتعبير عن (الجمال) من زوايا غير مألوفة، منذ نهاية الحرب العالمية الأولى كان هناك مسعى بارز لمعالجة التعاسة الروحية، بالإضافة إلى

اثنان من أبواب السيارة الزرقاء -Two Blue Car Doors- شكل (7)، هو عمل للفنان بيل وودر فى فترة الثمانينيات عام 1981. نرى هنا شرائط من المعدن تربط بين بابين من أبواب السيارة، لتشكل بندقية هجومية من طراز AK-47. يشير العمل إلى عمليات إطلاق نار من سيارة مسرعة أو عمليات الإعدام الطائفية التى حدثت فى فترة الاضطرابات فى أيرلندا الشمالية. فقد أصبحت السيارة سلاحاً محشواً بالمتفجرات، وسيارة مفخخة مميتة. وحتى الآن تعد عمليات استخدام السيارات فى العمليات الإرهابية هى الأكثر.



شكل (8)

عادل عبد الصمد، الأمل 2011-2012، قوارب اللاجئيين وراتنج، 81 × 96 × 228 بوصة.

قوارب اللاجئين

تم العثور على القارب مهجوراً على شاطئ فى فلوريدا كيز (الولايات المتحدة)، تستخدم القوارب عادةً لنقل المهاجرين بطريقة غير شرعية بحثاً عن حياة جديدة فى الولايات المتحدة، مما يعرضهم للخطر، وربما إلى الموت، ويتم تقديم القارب كما تم اكتشافه، ولكن تم ملؤه بالأكياس السوداء المصنوعة فى راتنج البولي يوريثين (polyurethane resin)، كما استخدم أكياس القمامة المحشوة، وهو تعبير استفزازى لتشبيه المهاجرين بالقمامة.

أثر الأوضاع السياسية والثورات على الفن التشكيلي المصري:

تأثر المشهد البصري الإبداعي فى مصر بالحركة السياسية وخصوصاً ثورة يوليو 1952 التى "تعد من الدوافع المرجعية التى أثرت على جميع الفنون فى مصر بدون استثناء، وبعدها انطلقت مصر نحو نهضة حقيقية تمثلت فى التحولات السياسية والاقتصادية والصناعية"، وقد ظهرت أعمال فنية خلال فترة الثورة عبرت عنها، واهتمت هذه الأعمال بالنزعة الغاضبة الاحتجاجية فى مضمونها، والبحث عن جماليات جديدة تعبر عن الإنسان والبيئة والتراث الحضارى المصرى.

الفن تهينة نفسه واجتاحت الفاعليات الفنية العالم، وحقق فنانون من أمم وأعراف وثقافات عديدة نجاحات على المستويين التجارى والنقدي. "فظهرت توجهات كثيرة من قبل الفنانين داخل أمريكا نفسها وفى أوروبا، رافضة لفن العامة Pop Art على أساس أنه طراز فنى أمريكى، وبهذا لاقى هذا الاتجاه نوعاً من الجدل والنقد على أساس تعبيره عن الثقافات الرأسالية".



شكل (6) آندى وار هول، مارلين ديتش، 1962.

اتجه الفنانون من الواقعية الجديدة إلى التجهيز فى الفراغ، والبحث عن الفكرة الأكثر جدلاً وتعبيراً عن مجريات الأحداث، فقاموا بمزج أنواع كثيرة من الفنون داخل العمل الفنى الواحد؛ مثل استخدام الموسيقى والفيديو والمؤثرات الصوتية، واستخدام العنصر البشرى كجزء من العمل الفنى، بجانب النحت والرسم والتصوير، ليصبح العمل الفنى فلسفة فى حد ذاته، يناقش قضايا مجتمعية بطريقة مغايرة عن الشكل التقليدي للعمل الفنى، وأصبح المعيار الجمالى للعمل الفنى هو الفكرة وكيفية توظيفها؛ وبعد بضعة سنوات نجح توجيه النظرة الفنية للجمال للفن المعاصر، واتجه الفنانون فى البداية إلى الفن المفاهيمي، ثم فن البيئة التى اعتمد على التداخل والاندماج مع الطبيعة من خلال استخدام مواردها فى صورتها الأولية مثل (النار- الحجر- الرياح..) داخل العمل الفنى، وأخيراً فن الأداء الذى أدخل الأداء الحركي والعنصر البشرى فى العمل الفنى.



شكل (7) بيل وودرو، اثنان من أبواب السيارات الزرقاء، 1981.

لوحة "المنتصر" 1973 للفنان التشكيلي الكبير حامد ندا، التي سجلت حالة الانتصار والحرية، وصور فيها فرحة المصريين من الرجال والنساء والأطفال، حتى رقصة الحصان التي تعبر عن سعادته بانتصار حرب أكتوبر المجيدة التي خاضها الجيش المصري ضد جيش الاحتلال الإسرائيلي. (شكل11)



شكل(11)

حامد ندا، المنتصر، زيت على توال، 1973.

حرب الجيل الرابع:

يتميز الجيل الرابع من الحروب بتغييرات جذبية تظل التقنيات والأفكار كما هي، لكن طبيعة النزاعات تختلف مع ظهور المعارضين من دولة إلى أخرى تفقد احتكارها للحرب. إنها حرب عصابات حيث يقوم الفاعلون من غير الدول بإشراك المدنيين في قتالهم من خلال أيديولوجيتهم وإرهابهم وعنفهم الموجه ضد الدولة والمدنيين، إحدى الخصائص الأساسية لهذا الجيل هي اللامركزية التي تؤدي إلى طمس خطوط القتال المحددة، تشكل حرب الجيل الرابع في الداخل تهديداً وجودياً، إذا كانت القوات المسلحة للدولة لا تستطيع هزيمة هذا التهديد ستختفي الدولة وقواتها المسلحة معها. وهذا ما حدث في ثورات الربيع العربي التي آلت إلى إسقاط دول عربية بأكملها. تشكل حرب الجيل الرابع في الداخل تهديداً وجودياً، إذا كانت القوات المسلحة للدولة لا تستطيع هزيمة هذا التهديد ستختفي الدولة وقواتها المسلحة معها.

ثورات الربيع العربي 2011 وعصر المعلوماتية والجيل الرابع :

كان نتيجة لتطور مفهوم الحروب، وحرص بعض الدول المعادية على جنودها، وترويجاً للسلاح بشكل كبير، كان هدفهم محدداً في استقطاب فئات من شباب الدول العربية؛ لتكون فئات معادية لأوطانهم، ولتبقى الدول العربية والخليج العربي بأكمله تحت السيطرة الغربية، دون الدخول في الحرب بطريقة رسمية، فإن فكرة حدوث حرب عالمية ثالثة يعنى زوال العالم بأكمله. فقامت عدة ثورات مختلفة بدأت في تونس ومصر، ثم انتقلت إلى ليبيا واليمن وسوريا، حيث استطاعت بعض الدول أن تنهض من جديد

ولقد ولدت الحركة الفنية الحديثة في مصر أواخر القرن التاسع عشر، حيث كانت مصر مهينة للانفتاح الثقافي منذ عهد محمد على، ومن بعده الخديوي إسماعيل الذي أنشأ المجمع العلمي 1798 والمتحف المصري 1835 ودار الأوبرا 1869 ودار حفظ الكتب 1870 والجمعية الجغرافية 1875، ومن خلال ذلك أتيحت الفرصة للنهضة الثقافية المصرية والبحث عن معاني الحرية والاستقلال؛ الأمر الذي أسهم في تشكيل الهوية المصرية ونتج عنه فن مصري مستقل.



شكل (9) حسن سليمان، العشاء الأخير، زيت على لوح، 120.5سم×198.5سم، 1967. عبرت هذه اللوحة عن أحساس القهر والفقر الذي اجتاحت الشعب المصري بعد أحداث نكسة 1967، والتي تتابعت بعدها الأحداث السياسية في مصر، وتعرضها لعدة حروب متتالية لتطور الحركة الفنية، واهتمام الفنانين بالموضوعات الوطنية والتعبير عن الفترة العصيبة التي مر بها المصريون من الاستعمار حتى النصر 1973، وعبرت عن الصراعات والآلام والجروح التي تسببت بها الحرب. أيضاً هناك بعض الأعمال الفنية التي عبرت عن فترات الحرب والسلام والنصر؛ مثل منحوتات جمال السجيني (العبور عام 1975 الذي وضع في مدخل مدينة بنى سويف)، والتي تعبر عن عبور الجيوش المصرية قناة السويس لتحقيق نصر 6 أكتوبر، وتمثال محمود مختار(نهضة مصر) الذي نال شعبية كبيرة بين المصريين، حيث عبر من خلاله عن عظمة وقوة المصري، والذي تم تنفيذه عام 1920 ليعبر عن الحالة السياسية والاجتماعية في مصر في ذلك الوقت، وغيرها من الأعمال التي تزين ميادين مصر.



شكل (10)

جمال السجيني، العبور

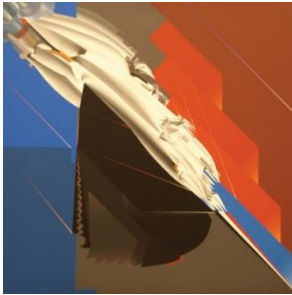
قدم معرضها الفردي "الهويات الدائمة" 2007، والتي أنتجت 46 نسخة متماثلة مصنوعة يدوياً من القنابل الحربية اللبنانية المزينة بأنماط تعبر عن كل دولة حسب ثقافتها الفنية، فى شكل نحتى فريد، وبذلك تحولت هذه الأشياء العسكرية المدمرة إلى سفن جميلة مزخرفة.



شكل (13)

كاتيا ترابلسي، الهوية الدائمة، 2007

تأخذ كل من هذه القنابل أيقونية مختلفة مرتبطة بهوية وطنية، يعد هذا المزج بين الثقافات والحرب أيقونة تتمثل فى مجسم القنابل، وهى أداة من أدوات الحرب المدمرة، ولكنها رغم خطورتها فى تمثيل خطر كبير على الإنسانية، إلا أنها لا تستطيع أن تمحو الثقافات والحضارات المتمثلة فى كل دولة وفى كل شعب.



شكل (14)

كاتيا ترابلسي، مصر، قاعدة نحاسية ورسم على الخشب، ارتفاع: 75 سم، 2016

عبرت عن مصر شكل (14) من خلال إدخال الشكل الفرعونى للصقر، وهو أيضاً رمز للعلم المصرى، وأدخلت بعض الكلمات الفرعونية المحفورة على مجسم القنبلة، معبرة عن الحضارة الفرعونية القديمة التى ميزت مصر عن غيرها من دول العالم، حتى إنها كانت مطعماً للدول الأوروبية للسيطرة عليها لتميزها بأقدم حضارة عرفها التاريخ.

فؤاد أجباريا Fouad Agbaria

هو أحد أبرز الفنانين الفلسطينيين الشباب المعاصرين، والذين يعيدون تحديد ما يعنيه أن تكون فلسطينياً، شارك فى مشاريع تهدف إلى رفع مستوى السكان الفلسطينيين داخل إسرائيل

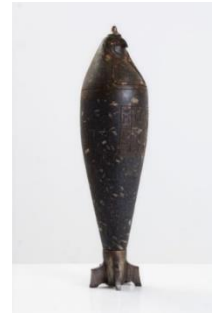
وترسى دستورها واقتصادها، ولكن بقي آخرون فى شتات وحروب أهلية وانقسامات لم تصل لحل حتى الآن، وعلى عكس ما هدفت إليه الثورات إلى هدم الفنون أدت إلى ظهور فنون جديدة فى الموسيقى والشعر والفن التشكيلى؛ للتعبير عن الحرية وتحقيق إرادة الشعب، نرى ذلك فى موسيقى الباندا فى أغاني عبرت عن الحرية ومرارة الشعب الذى عانى من طول مدة الحكم، وظهور فن الجرافيتى أو فن الشارع، الذى ملأ الشوارع وجدران المدينة بعبارات ثورية (عيش -حرية -عدالة اجتماعية).

نرى ذلك من خلال بعض أعمال الفنانين العرب الذين عانوا من

الحرب:

أحمد نوار

أحمد نوار قناص حرب الاستنزاف، من أبطال حرب أكتوبر، الذى استهدف من العدو حوالي سبعة عشر جندياً إسرائيلياً لقب بـ "أسير الحرب" كما أنه احتفظ ببعض من شظايا الدانات لإعادة صياغتها فنياً بعد مغادرته للجبهة عام 1970، أثر ذلك على إنتاجه الفني فى إنتاج تكوينات مميزة تعبر عن الحرب وما يحدث فى أرض المعركة، وأنتج أعمالاً عديدة عن الحرب، من بين أعماله "الاقترام1" شكل(12) 2009.



شكل (12)

أحمد نوار، الاقترام1، أكريلك، 100سم×100سم، 2009

عبر نوار فى لوحاته عن الجنود المصريين باستخدام ألوان العلم المصري الأحمر والأبيض والأسود، فى خطوط هندسية حادة تعبر عن صلابة وقوة الجندى المصري، بأسلوب إبداعي متميز، وبتكرار تلك الأشكال الهندسية، تشعر وكأن هناك سيلا من الجنود، وكأنك فى حالة هجوم فعلى، يشعرك بالاعتزاز عند رؤية تكرار ألوان العلم المصري.

كاتيا ترابلسي Traboulsi Katya

وهي فنانة للوسائط المتعددة فى بيروت، وتتميز ممارستها بالكثافة العاطفية التي تواجه بها آثار الحرب الأهلية اللبنانية. يتميز كل من أعمالها الفنية والنحتية باستخدامها الجريء للون،

سيروان باران عارف Serwan Baran

يعتبر من أهم الفنانين المعاصرين، حيث قام بتمثيل دولته العراق فى بينلى فينيسيا 2019، اتخذ سيروان الواقعية التسجيلية أسلوباً له، وما يحدث فى بلاده العراق، نرى موضوعاته السياسية الجريئة التى تصف حال المعتقلين العراقيين الذين وضعوا فى السجون بدون ذنب سوى أنهم حاولوا فى يوم الدفاع عن وطنهم، وما زال هناك اغتيال لحريتهم واستقلالهم، كل ذلك كان له تأثير فى اختياره لمواضيع أعماله الفنية، كما أنه عاصر الحرب فى بلاده لمدة 40 عاماً.

نرى من خلال لوحاته غضبه وسخطه على الأوضاع السياسية فى بلاده. إن أعمال سيروان هى إدانة قوية لأهوال الحرب، نرى ذلك فى لوحة "الوجبة الأخيرة" التى تصور جثث الجنود العراقيين الذين قتلوا أثناء تناولهم طعامهم شكل(17)



شكل(17)

سيروان باران، الوجبة الأخيرة، 420×520 سم، 2019.

وهى من اللوحات الضخمة التى تبلغ مساحتها 420×520 سم. الصحن الفارغة والجثث المبعثرة التى تلتف حول بعضها تشبه لوحة العشاء الأخير، ولكن بصياغة مختلفة، استخدام اللون الزيتى الذى يعبر عن الزى العسكرى الذى أصبح جزءاً من تراث البلد، وتصوير اللوحة من منظور عين الطائر يجعلها أشبه بقطعة تفصيلية من نسيج الزى العسكرى تغزلها أجساد الشهداء فى شكل درامى صارم.



شكل (18) سيروان باران، وجوه بلا ملامح، 170×170 سم، 2018.

الحالية؛ مثل معرض أم الفحم للفنون، ومعرض منبثق للفن الفلسطيني فى عام 2010.



شكل(15)

فؤاد أجباريا ، نسج وشقوق 8 ، 2018 ، زيت على قماش ، 140 × 100 سم.

تزخر لوحاته بالعناصر المعمارية والزخرفية التى تتخذ شكل النقوش الأرابيسكية، والتى تكون جزءاً من ذاكرة طفولته، فهى تشبه تلك البساط التى وضعت على أرضية منزله، كما أن لها جانباً روحانياً يعبر عن الشعائر الدينية الإسلامية فى شكل سجادة الصلاة، ومزجها بألوات الحرب التى اعتاد الشعب على رؤيتها منذ دخول الإسرائيليين إلى فلسطين الحرة؛ من دبابات وطائرات مدمرة تمحو كل ما هو جميل وقديم، وكل ما يحمل معنى للتاريخ الفلسطيني، يخلق أجباريا مساحة داخلية فى نفس المشاهد، تشبه رغبة فرويد أو مفهوم "بلا منزل" لخلق مشهداً متناقضاً بين ما هو جميل وما هو قبيح، بين الراحة والخوف.

محمد حافظ Mohammed Hafez

هو مهندس معماري سوري، تميز بصنع المجسمات الصغيرة، حيث عبر عن سوريا التى دمرتها الحرب الأهلية، ودمرت كل معالمها التاريخية القديمة، ليصنع مجسمات ثلاثية الأبعاد توضح شكل المجمعات السكنية المدمرة والمنازل التى ملأتها الشظايا، ترى كل تلك التفاصيل الدقيقة التى صنعت إتقان؛ لتبدو أكثر واقعية ومحاكاة للمشاهد، ليجعلك تشعر وكأنك تسير فى شوارع سوريا وتخطو خطوة بخطوة داخل كل بيت، فى شكل حقيبة سفر تحمل أسوأ ذكريات الحرب والخراب.



شكل (16) محمد حافظ، سلسلة الأمم.

لم يتوقف الرسم على الجدران بعد ثورة 25 يناير بل استمر الشعب فى احتجاجاته ضد الظلم والقهر والفقر والدكتاتورية، من خلال ما عاشته فى حكم الرئيس الراحل محمد مرسي وبطش جماعته، التى جعلت الشعب المصري يعاني الكثير خلال حكمه الذى استمر لسنة واحدة، فاستمر الشعب المصري فى المقاومة بحثاً عن الحرية، وبحثاً عن العيش بكرامة داخل وطنه. واستكمل رسوماته الجدارية . شكل (20).



شكل (20)

رسم جداري لانتقاد الحكم الإخواني فى مصر

ومن خلال الدراسة وتحليل أعمال الفنانين تستعرض الباحثة التجربة البحثية ببعض من أعمالها الفنية التى تعبر عن الحرب

الإطار العملي للبحث:

تقوم الباحثة بإجراء تطبيقات ذاتية تقوم على استلهام الحرب والآثار الناتجة عنها.

أهداف التجربة:

تهدف التجربة إلى تحقيق القيم الجمالية فى الأعمال التى تعبر عن الحرب، خاصة وأن موضوع الحرب يخر بالعدد من الأعمال الفنية؛ منها من يسجل الحدث ومنها من يعبر عن إظهار المعاناة الإنسانية، والكثير من المشاكل التى تتسبب بها الحرب، تلك النزاعات الدائمة المستمرة بين الدول ولا تزال قائمة، وينتج عنها تطور الفنون وتغيرها، وظهور مدارس جديدة وأساليب أخرى للتعبير عن الأحداث.

مداخل التجربة: تنقسم إلى ثلاثة مداخل:

- **المدخل الأول:** شهداء الوطن الذين ضحوا بأرواحهم من أجل الدفاع عن بلادهم وحررياتهم.
 - **المدخل الثاني:** الآثار الناتجة عن الحروب من خراب وتدمير للمنشآت والمدنية.
 - **المدخل الثالث:** مشكلة اللاجئين والتشتت فى محاولة لإيجاد وطن جديد.
- تتخذ الباحثة من تلك المداخل مصدراً لموضوعات أعمالها الفنية.

ووجوه بلا ملامح 2018 شكل (18)، والتى يعبر فيها عن الشخصيات السيادية العراقية التى فقدت هويتها وتلونت بالطابع الأمريكى تتحدث بلسانه ووفق مصالحة.

فن الجرافيتي:

ظهر فن الجرافيتي منذ الستينيات ليعبر عن الحركات الثورية للشباب، واعتبر فناً غير قانوني وفناً تخريبياً، ظهر فى نيويورك كحركة سياسية واجتماعية فى تلك الفترة، كما صنف إلى فن الهيب هوب Hip Hob، ومن أشهر تلك العبارات " تخيل لو أن هناك حرباً و لم يذهب أحد – Suppose they gave a war and nobody" وهو تعليق سياسي لاعتراض الشباب الأمريكى على حرب فيتنام"، بعد ذلك تم الاعتراف بالجرافيتي كفن، ونقل من الشارع إلى قاعات المعارض. بدأ انتشاره فى الوطن العربى فى فترة ثورات الربيع العربى.



شكل (19)

نرى ذلك من خلال ما حدث فى مصر من أحداث ثورة 25 يناير، والتى أدت لانتشار فن الجرافيتي فى ذلك الوقت بشكل كبير، والذى تمثل فى تصوير الأحداث الاجتماعية والسياسية بشكل جريء، من خلال الرسم على الجدران، وخرج الفنانون ليشاركوا بدورهم فى الثورة والإسهام فى ملء الشوارع بالرسومات. ورسمت عبارات احتجاجية ملأت ميادين مصر وأشهرها: "عيش - حرية -عدالة اجتماعية" وهو الشعار الأصلي للثورة، وعبارة: "ارحل".



شكل (20)

الرسومات على جدران شارع محمد محمود ، تصوير: عمرو دلش / رويترز

يعتبر هذا العمل جزءاً ثانياً من العمل الأول "الشهيد1" يتكون العمل من خمسة مجسمات تعلق من رؤوسها في شكل يشبه الشرنقة تعبيراً عن انتقال الروح إلى العالم الآخر أو حياة جديدة، نسبةً لفكر القدماء المصريين عن الحياة والموت والبعث من جديد لحياة أخرى أبدية، تلتف حولهم غصون من الأشجار تزهر ببعض من الأوراق لتحافظ على تلك الشرنقة حتى يكتمل نمو أجساد من بداخلها ليبعث من جديد .. فالشهيد لا يموت تبقى ذكراه وأثره دائماً في قلوب الأحياء، تتكون تلك الشرائق من 5 أجساد مختلفة وكأنها ترمز للعائلة التي تضم الأب والأم والزوج والزوجة والطفل، فالحرب بدورها المرير تنال من كل الأعمار، حتى إنها من الممكن أن تنهى عائلات بأكملها نتاجاً لأعمال القصف الجوي الذي يقوم به المحتل تجاه المدنيين.



شكل (23)، من أعمال الباحثة: ما بعد الحرب، 25 سم × 35 سم، وسائط متعددة (حبر وأكريليك على ورق)، 2020.

توضح الباحثة من خلال هذا العمل التشتت الذي يحدث بعد الحرب، فالحرب بوحشيتها تدمر كل ما هو جميل، وتصنع الكثير من الخراب وتتسبب في الكثير من الضحايا والمصابين الأبرياء، ورسم في الجانب الأيسر رجل مصاب يقف عارياً في شكل هزيل وضعيف تلتف حول جسده شرائق من الضمادات لتغطي جروحه، وتلتف حول رأسه بالشكل الذي يغطي به رأس المتوفى، ورسم الرجل بالحبر الأسود على أرضية زرقاء ليعبر اللون البارد على حالة الحزن، وتقابل به جانبه امرأة يغطي جسدها بشيء يشبه الكفن، بخلفهم أرضية بيضاء وتزهر من حولهم بعض الزهور تلونت باللون الأزرق والبنفسجي الغامق لتعكس الحالة الدرامية الحزينة للعمل، وتعبيراً عن عدم انقطاع الأمل في التغيير أو العيش بكرامة، تغطي الأرضية باللون الأحمر تعبيراً عن كثرة الدماء والغضب والدمار.

الحدود التشكيلية للتجربة:

1- تقتصر الباحثة في إجراء تجربة البحث على إنتاج أعمال فنية تعبر عن موضوع الحرب والمشاكل الناتجة عنه.

2- تقتصر الباحثة في التجربة على إنتاج أعمال فنية ذاتية تستخدم فيها خامات متعددة مثل (الأحبار وألوان الأكريليك)، والمزج بينها على الورق أو القماش، واستخدام الكولاج في بعض الأعمال. وبعد اختيار تلك الخامات ناتجاً من خلال الدراسة النظرية والتحليلية لبعض أعمال الفنانين السالف ذكرهم.

أعمال الباحثة:

أنتجت الباحثة (11) عملاً فنياً مستلهمة من موضوع الحرب وآثاره الناتجة عنه، وفيما يلي عرض لأعمال التجربة:



شكل (21)، من أعمال الباحثة: الشهيد 1، 25 سم × 35 سم، وسائط متعددة (حبر وأكريليك على ورق)، 2021.

يوضح العمل شهداء الوطن والجرحى والمصابين الذين يضحون بأرواحهم تجاه قضية يؤمنون بها، يتوسط العمل جسد رجل تملؤه الجروح ويجلس في وضع منكسر معلق من رأسه بأشرطة من الضمادات تغطي رأسه وتملاً أنحاء جسده، وتلتف حوله أفرع من النباتات في شكل ملائكي وكأنها ترفعه إلى السماء لتطيب جراحة وروحه المنكسرة، وأوراق تزهر في ترائف تشهد على بشرى تحقيق أحلام هؤلاء الشهداء، رسم تلك الجزء بالحبر الأسود ولونت أرضية العمل باللون الأحمر تعبيراً عن كثرة الدماء والضحايا التي تهدر في الحروب والثورات لتغير نظام.



شكل (22)، من أعمال الباحثة: الشهيد 2، 25 سم × 35 سم، وسائط متعددة (حبر وأكريليك على ورق)، 2020.

ويحميه؛ فبالرغم مما يناله الشهيد من مكانة في الجنة وعطف رباني على ما آساه، إلا أنه يترك خلفه الكثير من الحزن والألم لكل أفراد أسرته وأحبابه، وهذا ما تفعله الحرب بأبناء وطننا الحبيب؛ رسم الشهيد أعلى اللوحة تعظيماً لمكانته في الجنة، ويظهر في أسفل اللوحة على الجانب الأيسر شكل تجريدي لامرأة تجلس بجانبها طفل صغير، استخدم بها اللون الأزرق تعبيراً عن حالة الحزن، يقابلها خطوط حادة سوداء تعبيراً عن الأسلحة المستخدمة في الحرب، في الأرضية استخدم اللون البرتقالي الساخن تعبيراً عن حالة الغضب.



شكل (26)، من أعمال الباحثة: في كل بيت شهيد، 100سم × 150 سم، أكريليك على توال، 2018.

من خلال معايشة الباحثة لأحداث ثورة 25 يناير، تلك الفترة الثورية التي غيرت من مجرى الأحداث السياسية لمصر، وما تلاها من أحداث كثيرة، كان الشعب هو من يدفع ثمن تلك التغييرات، فقدنا الكثير من الشهداء من الشباب والأطفال والنساء ورجال الشرطة والجيش، فقد نالت تلك الفترة فرداً من كل بيت مصري، وكانت دماء المصريين تملأ الشوارع وحدود البلاد، الآن حققنا التغيير، ولكننا لم ننس شهداء الوطن ممن دفعوا أرواحهم ثمناً لكى نحى حياة كريمة، رسمت أربعة شبابيك، يختلف كل شبابيك عن الآخر، هناك من فتح أبوابه وأرفف شبابيكه على مصراعيه، وشارك بالأحداث، ومنهم من تعرض لها بشكل غير مقصود ودون أن يشارك فعلياً، قد يكون خرج فى يوم لأداء عمله، لكنه تعرض للقصف الناري فى اشتباك بين الثوار والشرطة، وهناك من التزم الصمت وظل يشاهد المشهد عن بعد، لكن الموت نال منه أيضاً وأخذ منه شهيداً، نرى تأثير الطلقات النارية على كل الشبابيك التى تخرج منها أفرع الصبار بتنوع أشكالها، استخدم الصبار كتعبير عن الموتى أو المقابر، والذى يظهر بدوره الحزن داخل كل بيت، تظهر فى الجانب الأيسر من العمل بشفاافية، امرأة تجلس فى وضع ساكن وفى هدوء، ترمز إلى الأم والأخت والزوجة والابنة التى تفقد الأب أو الزوج بسبب الحرب.



شكل (24) من أعمال الباحثة: الحرب 1، 16سم × 16سم، أكريليك على ورق، 2020.

يوضح العمل حالة الحرب وقت حدوث المعركة وتبادل النيران وقصف جوى واشتباكات بين الجيوش وأفرادها من الجنود والضباط وسط كل هذا الدمار هناك هالة بيضاء تتوسط العمل، وكأنها أم تحمل رضيعها وتحاول الحفاظ عليه في حالة من السكون والهدوء، ليتوقف المشهد كاملاً وكأن الزمن يعطى لتلك المرأة وقتها للمرور في سلام، وقد يكون ذلك النور الساطع هو أمل السلام والسكينة التي يسعى له العالم دائماً، لكن الكثير من القادة والحكام يستخدمونه فرصة لإحداث الحرب فالسلام كذوبة استخدمها الآخرون للقضاء على بعض الدول أو السيطرة على العالم؛ حتى ينالوا لقب القوة العظمى؛ ليستطيعوا التحكم في العالم بأكمله، ويظل الأضعف تحت سلطته، فبالرغم من النزاعات الدائمة هناك أمل في الوصول إلى سلام دون حرب.



شكل (25)، من أعمال الباحثة: مراسم الوداع 1، 25سم × 35سم، أكريليك على ورق، 2020.

يعبر العمل عن مراسم الدفن للشهداء، والتي تشهد الكثير من مشاعر الحزن والقهر والفقد الذى يشعر به أهالي الشهداء، ليرتك خلفه أما حزينة على فراق ولدها التي أفنت عمرها لتراه رجلاً يحمل عنها عبء الكبر والتقدم في السن، وهناك زوجة أصبحت أرملة وودعت شريك حياتها في بداية الطريق، وهناك طفل لم يكمل طفولته في كنف أبيه وأصبح بدون أب يرشده

5. محمد فتحي أمين: كتاب موسوعة أنواع الحروب، الأوائل للنشر والتوزيع، سوريا- دمشق، 2006.

6. تحليل رسوم الجرافيتي فى مصر بعد ثورة 25 يناير تعبيرياً، وجمالياً، دعاء أحمد محمود إمام، ماجستير ، رسالة غير منشورة، 2015.

1. <https://www.pablocicasso.org/massacre-in-korea.jsp>
2. VIETNAM WAR, THE NEW ASPECT OF WARFARE, Juraj Simko, Armed Forces Academy of General Milan Rastislav Štefánik, Liptovský Mikuláš, Slovakia, International Conference KNOWLEDGE-BASED ORGANIZATION, Vol. XXV No 1 2019.

النتائج والتوصيات:

نتائج البحث:

- 1- للحرب دور كبير فى تغيير الفنون وتطورها وظهور مدارس جديدة.
- 2- هناك مدارس فنية ظهرت كفعل ثورى رفضاً لكل الأساليب القديمة فى تقديس الجمال، والتعبير عن القبح للتعبير عن الواقع المرير التى أحدثته الحرب.
- 3- استطاعت الحرب أن تستفز روح الفنان لما يشاهده من عنف ضد أبناء وطنه، وعنّف أكبر ضد الإنسانية وحقوق الإنسان، فنتج عنها أعمال فنية عظيمة تعتبر الأشهر في تاريخ الفنانيين.
- 4- المشاكل التى تتسبب بها الحروب كثيرة: منها الدمار والقتل وتهجير المواطنين لدول أخرى وسلب الموارد، مما يجعل منها مصدراً غنياً للتعبير الفنى.

التوصيات:

- 1- المزيد من البحوث حول الموضوعات السياسية التى تعبر عن الحرب والتعبير عنها، فهى أرث لتطورنا الحضارى وتوثيق لمجهوداتنا البشرية فى التغيير للأفضل.
- 2- المزيد من الدراسات حول حروب الجيل الرابع والخامس التى تحدث الآن بطرق غير مباشرة تستهدف عقول الأطفال والشباب من خلال بعض الألعاب الحربية الإلكترونية.

المراجع:

1. أحمد نوار: الثورة والإبداع، التجليات الإبداعية لكل ثورات العالم، الناشر والشاعر (توأم سيامى) لا ينفصل أبداً، ص37، مجلة الهلال- يناير 2013
2. ديفيد هوبكنز: مقدمة قصيرة جداً الدادائية والسريالية، ترجمة أحمد محمد الروبى، مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة، الطبعة الأولى 2016.
3. عادل محمد ثروت: المفاهيم الفنية والفلسفية لفن الواقعية الجديدة وفن التجهيزات الفراغية كمدخل لإثراء التعبير في التصوير، رسالة دكتوراة، غير منشورة، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، 2001.
4. محسن محمد عطية: القيم الجمالية في الفن التشكيلي، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، 2000.